

منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية

(مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية – جامعة العلوم الإسلامية العالمية. توجد موافقة بتاريخ 2017/8/7)

إعداد

د. عودة عبد عبد الله*

Odeh Abdullah

أ. بلال عبد الرحمن سليم**

Bilal Saleem

* أستاذ مشارك – قسم أصول الدين – جامعة النجاح الوطنية – فلسطين

** ماجستير أصول الدين – جامعة النجاح الوطنية – فلسطين

منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية

ملخص البحث

يقوم هذا البحث على دراسة منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية. وقد ظهر هذا المنهج واضحاً جلياً من خلال تحذير القرآن الكريم من سلوك الجاهلية وبيان زيفها وبطلانها. ثم دعوة القرآن الكريم للإعراض عن الجاهلية، والنهي عن التشبه بها. إضافة لوصف الأمم الكافرة بالجهل، كما كان الحال مع قوم نوح عليه السلام وقوم عاد، وبني إسرائيل. وأخيراً بيان براءة الأنبياء عليهم السلام من الجهل والجاهلية، باعتبارها عنواناً للنكوص عن الحق والانحراف عن المنهج السليم.

الكلمات الدالة: القرآن، التفسير الموضوعي، الجاهلية

Quran's approach in the warning of JAHILIYYAH

Abstract

This research aims to study the Quran's approach regarding warning from ignorance. This approach has clearly presented through the Quranic texts which implemented sever warning of the ignorance era behavior. The Quran call to reluctant ignorance by describing former infidel Nations with ignorance, as the case of Noah's people peace be upon him, people of Add (the people of the prophet Hud, and the people of Israel. Finally, the research clarifies the virtuousness of the prophets, peace be upon them from ignorance which is considered as a deviation from the right approach.

منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إن الناظر بعين التأمل والتدبر في كتاب الله تعالى يجد أن الجاهلية ليست مرحلة زمنية أتت وانقضت، وإنما هي تصورات وعقائد وأحكام وسلوك وأخلاق وأوضاع بنيت على غير هدي السماء، وأسست على الهوى والتقليد للأباء والأجداد.

ومن خلال تتبع آيات الذكر الحكيم المتعلقة بالجهل والجاهلية؛ تبين وجود حقائق مهمة، وضوابط للتصورات والقيم لا غنى للمسلم المعاصر عنها، وهو يعيش ويعايش الجاهلية المعاصرة بصورها المتعددة والمختلفة.

وهذا البحث ينطلق من الآيات القرآنية التي ذكرت الجهل والجاهلية؛ بغرض الوقوف على منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية ومسالكها، وذلك من خلال تحليل الواقع المعيش، والإشارة إلى مظاهر الجاهلية فيه، والتطرق إلى كثير من المجالات التي لامستها الجاهلية في هذا العصر، وما يترتب على ذلك من نتائج وآثار سلبية ينبغي الحذر منها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري في الدراسات القرآنية، وجدتُ بعض الدراسات التي لها علاقة بموضوع الجاهلية في القرآن الكريم، ومن أهمها:

- 1- جاهلية القرن العشرين، لمحمد قطب: تحدّث فيه مؤلّفه عن ملامح الجاهلية الحديثة، وانحراف تصوراتها، وفساد سلوكها؛ وعرض ذلك كلّ حسب مجاله، فبيّن انحراف الجاهلية في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والأخلاق، وغير ذلك من المجالات.
- 2- حكم الجاهلية، لأحمد شاکر: تحدّث فيه مؤلّفه عن بعض مظاهر الجاهلية في هذا العصر، وربط كل مظهر بأعداء الإسلام، مشيراً إلى دورهم القويّ في تشويه الإسلام، وطمس شعائره.

- 3- مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، لمحمود شكري الألوسي: تحدّث فيه مؤلفه عن بعض مظاهر الجاهلية، مشيراً إلى السبب الرئيس وراء ذلك، والذي هو غياب الدين.
- 4- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور صلاح الخالدي: حيث تناول في الجانب التطبيقي في أحد فصوله موضوع الجاهلية كنموذج لتفسير المصطلح القرآني.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تعالجه، ويمكن إجمال أهمية هذه الدراسة في الآتي:

- 1- إنها جاءت خدمة لكتاب الله تعالى، فهي دراسة قرآنية بالدرجة الأولى، إذ إن القرآن الكريم كان المصدر الأول والأساس والرئيس فيها.
- 2- إنها دراسة واقعية هامة، تكشف عن الداء، وتقدّم الدواء.
- 3- إنها جاءت لتزيل ركماً من الشبهات والتساؤلات حول مفهوم الجاهلية وتطبيقاتها في العصر الحديث.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما مدى اهتمام القرآن الكريم بموضوع الجاهلية؟
- 2- ما المنهج الذي سلكه القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية؟
- 3- كيف عالج القرآن الكريم هذه القضية بكل جوانبها المتعددة؟
- 4- كيف تابع القرآن الكريم الآثار المترتبة على الجاهلية؟

أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف هذه الدراسة بالآتي:

- 1- لفت الأنظار إلى منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية.
- 2- الاستفادة من هذا المنهج في حياة المسلم المعاصر.
- 3- التحذير من هذا الداء العضال حتى لا يستشري في المجتمع.

منهجية الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي تحدثت صراحة عن الجهل والجاهلية، ثم تحليل ودراسة هذه الآيات، وفق منهجية البحث في التفسير الموضوعي. وإني مقرّ أن هذا الجهد الذي قمت به هو جهد المقلّ، ولكنها محاولة للوقوف والتأمل والتدبر والاستنباط، فإن كان صواباً فمن الله تعالى، فله الحمد والمنة، وإن كان الثاني فمني وحدي، وأستغفر الله وأتوب إليه.

تمهيد

الجهل في اللغة يدل على نقيض العلم، قال الأزهري: "والمعروف في كلام العرب جهلُ الشيء، إذا لم تعرفه"¹، ولهذا قيل: زوال الجهل بالعلم، وزوال الغي بالرشد². ويبين الراغب الأصفهاني المعاني المتعلقة بالجهل، فيقول: "الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضياً للأفعال الجارية على غير النظام، والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كمن يترك الصلاة متعمداً"³. وقد وردت مادة (جهل) في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة. خمس عشرة مرة في السور المكية، وتسع مرات في السور المدنية⁴.

والمتتبع لورود مادة (الجهل) واشتقاقاتها في القرآن الكريم، يرى أن استعمال هذه الكلمة كان يدور حول مجموعة من المعاني، أهمها:

1. نقيض العلم. كما في قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)⁵.
2. الجهل السلوكي (السفه والخفة والطيش). كما في قوله تعالى: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهًا كَمَا لَهُمْ آلهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)⁶.
3. المعصية. كما في قوله تعالى: (فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)⁷. قال السمعاني: "أي: إني أحذرك أن تكون من الآثمين"⁸.

4. ضعف الإيمان. كما في قوله تعالى: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)⁹.

5. الجاهلية بمعنى الفترة التي سبقت الإسلام. كما في قوله تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ)¹⁰.

ويأتي هذا البحث من أجل بيان منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية. وستتم معالجة هذا الموضوع من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول

التحذير من سلوك الجاهلية

كان أهل الجاهلية متفرقين، تحكهم رابطة القبيلة والدم، (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا)¹¹، القوي يأكل الضعيف، والغني يستحق الفقير، زادهم الحروب، يحتكمون لشهواتهم، ويتحيزون لحميتهم الجاهلية. فجاء الإسلام العظيم، ليخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وهذا الأمر شهد به أهل تلك الفترة، الذين كتب الله عز وجل لهم الهداية، فاننتشلهم الإسلام من بؤس الجاهلية، إلى نعيم الإسلام. هذه المعاني وردت على لسان جعفر ابن أبي طالب حينما قال لملك الحبشة: "أيها الملك إنا كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام"¹².

من أجل ذلك، حذر القرآن الكريم من الجاهلية، وبين العواقب المترتبة عليها، ذلك أن الجاهلية خروج من النور إلى الظلمة، فبعد أن حرر الإسلام الناس من الجاهلية، ونقلهم إلى جنة الإسلام ونوره، ثم هم يعودون إلى الجاهلية التي كانوا فيها، وهذه قهقرة لا تكون من إنسان عاقل مدرك تماماً لحقيقة ما يفعل.

وقد استخدم القرآن الكريم أساليب كثيرة، وطرقاً متنوعة، في التحذير من الجاهلية، وفي بيان خطورها، فتارة يُرهب منها، وتارة يُرعب في الابتعاد عنها، وأخرى يُبين عواقب الانسياق وراءها، وفي غيرها يسرد قصصاً لأناس سماهم القرآن الكريم (جاهلون)، ثم كانت نهايتهم حسرة ووبالاً. كل تلك الأساليب وغيرها، استخدمها القرآن الكريم للتحذير من الجاهلية، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: بيان بطلان أمور الجاهلية

ذكر القرآن الكريم الجاهلية مشيراً إلى بطلانها، وأن كل أمورها زائلة، وذلك في قول الله عز وجل: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّمًا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)¹³.

فبعد أن ذكر الله عز وجل جاهلية بني إسرائيل، ووصفهم بالقوم الجاهلين، تحدث عن بطلان ما هم فيه، والبطلان كما يقول الرازي: "عدم الشيء، إما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ومقصوده، والمراد من بطلان عملهم: أنه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا دفع ضرر"¹⁴.

فأمور الجاهلية كلها أمور باطلة لا فائدة فيها، بل إن عواقبها وخيمة تعود بالضرر على فاعلها، من أجل ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهليَّةِ تحتَ قدميِّ مَوْضُوعٌ"¹⁵، أي باطل، فإن المراد من الوضع تحت القدم الإبطال"¹⁶.

وقد توعد الله عز وجل بتدمير أمور الجاهلية ومحقتها، فقال سبحانه: (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّمًا هُمْ فِيهِ)، أي مهلك ومدمر، قال الطبري: "الله مهلك ما هم فيه من العمل، ومفسده، ومخسرهم فيه بإثابته إياهم عليه العذاب المهين"¹⁷، وقال ابن عطية: "متبر: أي مهلك مدمر، ردي العاقبة"¹⁸.

وهذه الآيات يُؤكدها قول الله عز وجل: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا)¹⁹، أي أعمال البر التي كانوا يعملونها في الجاهلية، فهي كلها لا أجر لهم فيها، قال أبو السعود: "المراد به أعمال البر التي عملوها في الجاهلية، فإنها في أنفسها حسنات لو قارنت الإيمان لاستتبعَت أجورها وإنما بطلت لمقارنتها الكفر"²⁰، وقال البغوي: "باطلاً لا ثواب له، فهم لم يعملوه الله عز وجل"²¹.

وهذا الأمر أكدته السنة النبوية، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُنَاءِ جَهَنَّمَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى وَرَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"²².

فالنبي صلى الله عليه وسلم، جعل الدعوة إلى الجاهلية سبباً لدخول النار، حتى لو أن صاحبها كثير الصلاة والصوم، فإن دعوته للجاهلية قد أفسدت عليه صلاته وصومه، بل ونفت عنه صفة الإسلام، حتى قال فيه عليه السلام: (وَرَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ).

والآيات وإن كانت تتحدث عن أعمال الجاهلية، إلا أنها حملت بين طياتها أيضاً الوعيد لأهلها، فكما أن أعمال الجاهلية باطلة، وإن مآلها إلى زوال، فإن أهلها أيضاً يعيشون حياة باطلة، وأنهم لابد زائلون، قال الأوسي: "والجملة تعليل لإثبات الجهل المؤكد للقوم، وفي إيقاع اسم الإشارة اسماً لإن وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبر لها، وسم لعبد الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار، وأنه لا يعدوهم البتة، وأنه لهم ضربة لازب، ليحذرهم عاقبة ما طلبوا، ويبغض إليهم ما أحبوا، ووجه ذلك أن اسم الإشارة بعد إفادة الإحضار وأكمل التمييز يفيد أنهم أحمقاء بما أخبر عنه به بواسطة ما تقدم من العكوف والتقديم يؤذن بأن حال ما هم فيه ليست غير التبار وحال عملهم ليست إلا البطلان فهم لا يعدونهما فهما لهم ضربة لازب"²³.

المطلب الثاني: بيان ما في الجاهلية من فتنة وابتلاء

تحدث القرآن الكريم عن الجاهلية بوصفها فتنة وابتلاء، وأن الله عز وجل قد كشف عنها من أجل التمحيص، فقا سبحانه: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)²⁴.

فبعد أن تحدث القرآن الكريم عن الجاهلية، وخصص منها أمراً نفسياً كان دارجاً في الجاهلية، واستمرت رواسبه في بعض الأفراد في المجتمع الإسلامي، قال سبحانه: (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ

وَلِيَمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، إشارة منه إلى حكمة الله عز وجل في الكشف عنها.

وهذه الحكمة تكمن في غريبة المجتمع من المنافقين، الذين انبهروا بغيرهم من الأمم، وحاولوا تسريب بقايا من أمور الجاهلية في المجتمع الإسلامي النقي، فكشف الله عز وجل عن سرائرهم، قال ابن الجوزي: "قال قتادة: أراد ليظهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه من الأمانة، وإظهار سرائر المنافقين، وهذا التَّمحيص خاص للمؤمنين، وقال غيره: أراد بالتمحيص إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين" ²⁵.

فالله عز وجل كشف عن هؤلاء الذين يظنون بالله عز وجل ظن الجاهلية ليحفظ المجتمع الإسلامي منهم، قال الآلوسي: "والتمحيص تصفية، وإنما فعله لحكمة تعمّ، إذا أريد به الكشف والتمييز، ويصح أن يقال: إن هذه الجملة مشعرة بأنه تعالى غنيّ أيضاً، ومن هنا جُوزَ بعض المحققين كونها حالاً من متعلق الفعلين، أي فعل ما فعل للابتلاء والكشف، والحال أنه تعالى غنيّ عنهما محيط بخفيات الأمور، إلا أنه لا يظهر حينئذ سر التعبير عن الأسرار والخفيات بذات الصدور دون ذات القلوب" ²⁶.

وهذه الآية وإن كانت في واقعة مخصوصة في غزوة أحد ²⁷، إلا أن الحكمة مستمرة في كل وقت وحين، ذلك لأن الله عز وجل جعل الآية عامة في كل سوء أدب مع الله، وفي كل أمر من أمور الجاهلية، فأطلق القول بقوله: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)، قال الرازي: "اعلم أن ذات الصدور هي الأشياء الموجودة في الصدور، وهي الأسرار والضمائر، وهي ذات الصدور، لأنها حالة فيها مصاحبة لها، وصاحب الشيء ذوه وصاحبه ذاته، وإنما ذكر ذلك ليدل به على أن ابتلاءه لم يكن لأنه يخفي عليه ما في الصدور، أو غير ذلك، لأنه عالم بجميع المعلومات وإنما ابتلاهم إما لمحض الإلهية، أو للاستصلاح" ²⁸.

المطلب الثالث: إظهار ندامة من عمل بعمل الجاهلية

أشار القرآن الكريم في معرض تحذيره من الجاهلية، إلى ندامة من عمل بعمل من أعمال الجاهلية، وذلك في قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) ²⁹.

فالآية وإن كانت تتحدث عن التوخي والحذر من الشائعات، إلا أن القارئ يفهم من خلالها ، ندامة من عمل بعمل جاهلي، وذلك استناداً إلى قوله تعالى (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ)، أي جاهلين، قال الرازي: "في تقدير حال، أي أن تصيبيوهم جاهلين"³⁰، وقال الألوسي: "ملتبسين بجهالة"³¹.

والجهل في الآية ليس الخطأ، بل هو أعظم منه، قال الرازي: "والجهل فوق الخطأ، لأن المجتهد إذ أخطأ لا يسمى جاهلاً، والذي يبني الحكم على قول الفاسق إن لم يصب جهل فلا يكون البناء على قوله جائزاً"³².

وقد أشارت الآيات إلى أن من يعمل بعمل جاهلي، لا بد وأن تكون عاقبته الندامة، أخذاً من قول الله عز وجل: (فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)، قال الرازي: "بيناً لأن الجاهل لا بد من أن يكون على فعله نادماً... (فَتُصْبِحُوا) أي فتصيروا آخذين في الندم ملتبسين به ثم تستديمونه"³³.

وأشار أبو السعود، إلى أن تركيب الحروف الثلاثة (ن د م)، في الآية، يشير إلى الدوام والاستمرارية في الندم، قال أبو السعود: "(نَادِمِينَ): مغتمين غما لازماً، متمنين أنه لم يقع، فإن تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام"³⁴.

ومن الآية الكريمة نلاحظ استمرار ودوام هذه الندامة ، ولقد أشارت السنة النبوية إلى عدم قصرها على الدنيا فقط، بل إن الذي يعمل بعمل جاهلي يستمر به الندم في الدنيا والآخرة، قال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ"³⁵، وَفَحَرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَحَرَهُمْ بِرَجَالٍ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ"³⁶ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ"³⁷.

ففي الحديث إشارة إلى شقاء من دعا إلى جاهلية، والشقاء سبب موجب لدخول النار، لأنه مصطلح قرآني استخدمه القرآن في أمر الدين، قال سبحانه: (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَّهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ"³⁸، قال أبو السعود: "(فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ): أي وجبت له النار بموجب الوعيد"³⁹.

وفي الحديث أيضا إشارة إلى هوانه عند الله، ومن هان على الله لم تشمله الرحمة، قال تعالى: (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)⁴⁰، قال القرطبي: "من أهانه بالشقاء والكفر لا يقدر أحد على دفع الهوان عنه"⁴¹.

المطلب الرابع: إصدار الأحكام الصارمة بحق من عمل عملا من أعمال الجاهلية

من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية وأعمالها، أنه أعطى الأحكام الصارمة بحق من يعمل عملا ينتسب إلى الجاهلية، لبيان شناعتها، فوصف الذين يدعون إلى حكم الجاهلية بأنهم (كافرون، ظالمون، فاسقون)، فقال سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)⁴². والفاء هنا للعطف على مُقَدَّرٍ يقتضيه المقام، أي يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية، وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجيب، لأن التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم، وطلب حكم آخر منكر عجيب، وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب"⁴³.

ثم أصدر القرآن الكريم الأحكام في حق من لم يحكم بما أنزل الله، فحكم عليهم بالكفر، فقال سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)⁴⁴، ثم حكم عليهم بالظلم، فقال سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)⁴⁵، ثم حكم عليهم بالفسق، فقال سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)⁴⁶.

والمستعرض لتلك الأحكام، يرى أنها أحكام شديدة، لا تكون إلا بحق من انتهك أمراً عظيماً، ذلك هو استبدال حكم الإسلام بحكم الجاهلية. من أجل ذلك أنكر الله عليهم، حتى حكم عليهم بأشد الأحكام، قال ابن كثير: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل، إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، بما يضعونها بأرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان، الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظرة وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا، يقدمونها على الحكم

بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير⁴⁷.

فالقرآن الكريم استخدم كل الأساليب في التحذير من الجاهلية، بما في ذلك أسلوب (التوبيخ، والتقريع)، والذي تجلّى في إصدار أكبر حكم في الإسلام، وهو الكفر، بحق من عمل بعمل من أمور الجاهلية، ثم حكمي الظلم والفسق، وهذا تقريع ما بعده تقريع.

المطلب الخامس: بيان عقوبة من عمل بأعمال الجاهلية

تحدث القرآن الكريم عن بعض مظاهر الجاهلية، مشيراً إلى العقوبة المترتبة على فعل هذا العمل، أو معقباً ببيان العقوبة التي حصلت لمن كان قد عمل بعمل جاهلي، وكل هذا في المحصلة، لزيادة التحذير من الجاهلية وأعمالها.

وعندما تحدث القرآن الكريم عن قوم لوط، وأشار إلى العمل القبيح الذي كانوا يفعلوه، ووصفهم بأنهم قوم يجهلون، بيّن العقوبة التي أوقعها الله عز وجل عليهم بسبب تلك الجاهلية فقال جل في علاه: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿١٠﴾ أَعْيَبْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١١﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿١٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿١٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ) ⁴⁸.

وهذه العقوبة خاصة بقوم لوط وما نزل العذاب عليهم إلا من أجل اقرار هذا العمل، وكل من صنع صنيعهم، فهو مستحق لذلك العذاب، وقد ذكر سبحانه أن العقوبة ليست بعيدة عن أناس فعلوا هذه الفاحشة، فبعد ذكره سبحانه عذاب قوم لوط قال تعالى: (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ) ⁴⁹.

وعندما تحدّث القرآن الكريم عن قوم عاد، وأشار إلى جاهليتهم، ذكر سبحانه العقوبة التي عاقبها الله عز وجل له بسبب تلك الجاهلية، فقال سبحانه: (وَإِذْ كُرِّهَ عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّدْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا أَحِثَّتَا لِيَأْفِكَنَا عَنْ آلهَتِنَا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أُوْدِيِّتِهِمْ قَالُوا

هَذَا عَارِضٌ مُّطْرِنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ⁵⁰.

فهذا نوع آخر من العذاب لمن انتسب إلى الجاهلية، أو عمل بأعمالها، فقوم عاد استهانوا بنبيهم، واستهزأوا به، واستعجلوا العذاب، فعاقبهم الله عز وجل بالريح التي تحمل بين طياتها العذاب الأليم، وتدمر كل ما يقف في طريقها.

ولما أخبر القرآن الكريم عن جهل الإنسان حين رضي أن يأخذ أمراً لا طاقة له به، أشار إلى عذاب من أخذ أمراً ثم هو لم يلتزم بشروطه، ولم يراع حقه الرعاية، فقال سبحانه: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا⁵¹

فعدم معرفة العواقب، والرضى بالأمر دون تنفيذه، أمر جاهلي يوصف فاعله بالجهالة، قال النسفي: "جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها، وضمنها ثم خان بضمانه"⁵².

وقد استحق صاحب هذا الفعل العذاب، لأنه خان ما وكل إليه، فلم يلتزم بوعده، قال الشنقيطي: "دل هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان هو المعذب والعياذ بالله"⁵³.

وهكذا فكل عمل جاهلي، وكل حضارة قامت على الجاهلية، وكل أمة قامت على الجاهلية، فمآلها إلى الزوال، ولا بد وأن العقوبة هي مصيرهم، يقول الأستاذ محمد قطب: "كل جاهلية ذات حضارة، كانت تظن أن حضارتها المنحرفة هي الخير والبركة، والارتفاع الذي ليس وراءه ارتفاع، وكانت النتيجة الحتمية واحدة في النهاية، انهارت تلك الحضارات، أو تلك الجاهليات، بحكم ما فيها من جاهلية وانحراف"⁵⁴.

وقال في موضع آخر: "هناك حتميات في أقدار الناس، حتميات حقيقية لأنها من صنع الله، ومن هذه الحتميات أن هذه الجاهلية لا تستطيع أن تبقى إلى الأبد مسيطرة على أقدار الناس، فإنها لا بد ستتهار، تنهار بحكم ما فيها من شر غالب"⁵⁵.

المبحث الثاني

الدعوة للإعراض عن الجاهلية

المطلب الأول: أمر الله عز وجل للمؤمنين بالإعراض عن الجاهلية

دعا القرآن الكريم المسلمين إلى الابتعاد عن الجاهلية، وحدّر من الخوض في غياهبها، أو التقرب منها أو من أي عمل يتصل بها، أو من أي إنسان ينتسب إليها، فقال سبحانه: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)⁵⁶.

الأصل في الداعية أن يدعو إلى الله عز وجل، وألا يُعرض عن أحد من خلقه، إلا أن هذه الآية دلّت على أن هؤلاء الجاهلين لا ينفع معهم أمر إلا الإعراض، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد ابتدأ معهم بأمرين قبل الإعراض، وهما: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ).

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد أمرهم بالعرف، وعفا عنهم في كل ما عملوه، ثم لما لم يكن منهم استجابة، أراد صيانة نفسه عنهم، فأعرض عنهم، قال ابن الجوزي: "هذا عام فيمن جهل، فقد أمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفههم، وإن وجب عليه الإنكار عليهم"⁵⁷، وقال الشوكاني: "(وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ): أي إذا أقمت الحجة، في أمرهم بالمعروف فلم يفعلوا، فأعرض عنهم، ولا تماريهم، ولا تسافههم مكافأة لما يصدر منهم من المرء والسفاهة"⁵⁸.

فالأصل في الإنسان المسلم عدم الإعراض، إلا أنه لا بد منه مع فئة الجاهلين، لأنهم لا ينفع معهم العفو، ولم يسمعوا لأمرهم بالمعروف، بل استهزأوا، وأعرضوا، وعادوا، فكان لا بد من معاقبتهم بالمثل، وكما قيل: (آخر الدواء الكي)⁵⁹، قال السعدي: "(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ): بكل قول حسن، وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حثا على خير، من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية، أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه، وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فصله، ومن ظلمك فاعدل فيه"⁶⁰.

واعلم أن هذه الخطوات: (العفو، والدعوة، ثم الإعراض)، توجيه رباني لأهل الدعوة، وقد نجاه رسول الله ﷺ في مكة، فقابل أذى الجاهلية بالحلم، ثم أمرهم بالمعروف، ثم لما لم يكن منهم إلا العدا والسفاهة والجهالة، كان منه ﷺ أن أعرض عنهم، ثم هاجر من بينهم، وتركهم⁶¹، والإعراض عن الجاهلية، صفة من أهم الصفات التي دلت عليها مقاصد الشريعة وقواعدها، قال الإمام القرطبي: "ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات، فقوله: (حُذِ الْعَفْوَ) دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله: (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، وفي قوله: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتتره عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة"⁶².

من أجل ذلك، كانت هذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق كلها، حتى قال جعفر الصادق: "أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية"⁶³. والآية وإن كانت تخاطب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أنها عامة في كل المسلمين، لأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب لأُمَّته، قال الإمام القرطبي: "وهذا وإن كان خطاباً لنبيه عليه السلام، فهو تأديب لجميع خلقه"⁶⁴.

والإعراض له وقعه في النفس أكثر من غيره، لأن الإعراض يكون بالترك والإهمال، وهذا الأمر يتنافر مع النفس البشرية التي لا تحب العزلة، فالإنسان مدني بطبيعته، فعندما يرى أناساً تنفر عنه، فإنه سوف يراجع نفسه، وقد يُغيّر تفكيره وسلوكه، قال الأستاذ سيد قطب: "والإعراض يكون بالترك والإهمال، والتهمين من شأن ما يجهلون به من التصرفات والأقوال، والمرور بها مر الكرام، وعدم الدخول معهم في جدال لا ينتهي إلى شيء إلا الشد والجذب، وإضاعة الوقت والجهد، وقد ينتهي السكوت عنهم، والإعراض عن جهالتهم إلى تذليل نفوسهم وترويضها، بدلاً من الفحش في الرد واللجاج في العناد، فإن لم يؤد إلى هذه النتيجة فيهم، فإنه يعزلهم عن الآخرين الذين في قلوبهم خير، إذ يرون صاحب الدعوة محتملاً معرضاً عن اللغو، ويرون هؤلاء الجاهلين يحمقون ويجهلون، فيسقطون من عيونهم ويُعزلون! وما أجد صاحب الدعوة أن يتبع هذا التوجيه الرباني العليم بدخائل النفوس!"⁶⁵.

المطلب الثاني: بيان استجابة المؤمنين لأمر ربهم بالإعراض عن الجاهلين

وإذا كان الله عز وجل قد أمر بالإعراض فقال: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)، فإن المؤمنين قد التزموا بأوامر ربهم، فأعرضوا عن الجاهلين، حتى إن الله عز وجل قد خلد هذا الأمر على أنه من صفاتهم، فقال سبحانه: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)⁶⁶.

فالمؤمنون في هذا الموضع تركوا الجاهلين سلاماً منهم، فقولهم هنا: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)، ليس تحية منهم، بل بياناً منهم للمتاركة، قال الزجاج: "لم يريدوا التحية، وإنما أرادوا بيننا وبينكم المتاركة"⁶⁷.

فهذه الكلمة: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)، لها مقامها، فهي بين المؤمنين تحية، وهي شعار أهل الإسلام فيما بينهم، وقد تكون مع غير المسلمين، أما مع الجاهلين، فهي تعني الإعراض عنهم، وتركهم، قال الحسن البصري رحمه الله: "هذه الكلمة تحية بين المؤمنين، وعلامة الاحتمال من الجاهلين"⁶⁸.

وهذه الآية بيان لإعراض المؤمنين عن كل أمر باطل، حتى قال الله عز وجل مطلقاً فيهم القول: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)، أي كل أمر باطل، قال الرازي: "واللغو ما حقه أن يلغى ويترك من العبث وغيره، وكانوا يسمعون ذلك فلا يخوضون فيه، بل يعرضون عنه إعراضاً جميلاً"⁶⁹.

فهم يعرضون عن كل أمر باطل، ويُسَلِّمون أنفسهم منه، وهذا من أدب أهل الإسلام، قال ابن عطية: "والمراد من هذا في هذه الآية: ما كان سباً وأذى، فأدب أهل الإسلام الإعراض عنه"⁷⁰.

ولما كانت أمور الجاهلية كلها باطلة، فإن هذا يستدعي أن يكون أهل الإسلام أبعد الناس عنها، من أجل ذلك وصفوا أهل اللغو بأنهم (جاهلين)، وقالوا: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)، أي لا نريد أن نكون منهم، قال البغوي: "أي دين الجاهلين، يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه، وقيل لا نريد أن نكون من أهل الجهل"⁷¹، وهذا إعراض عنهم.

المبحث الثالث

النهي عن التشبه بالجاهلية

أكرم الله عز وجل الإنسان بشريعة سليمة قويمية، وأمره باتباعها، ونهاه عن مخالفتها إلى سواها، فقال سبحانه: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) 72.

والمقصود من هذه الآيات هو النهي عن اتباع أهل الجاهلية، أو التشبه بهم، لأنهم هم المقصودون بقوله تعالى: (الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)، قال الإمام الشوكاني: "هم كفار قريش، ومن وافقهم" 73، وقال النسفي: "أي: ولا تتبع ما لا حجة عليه، من أهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة" 74.

من أجل ذلك نهى الإسلام عن التشبه بالجاهلية، بل جعلها من أبغض الأعمال إلى الله، وصاحبها من أبغض الناس إلى الله عز وجل، فقال عليه الصلاة والسلام: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليُهرق دمه" 75.

فهذا الحديث صريح الدلالة في النهي عن التشبه بالجاهلية، قال ابن تيمية: "الابتغاء: هو الطلب والإرادة، فكل من أراد في الإسلام أن يعمل بشيء من سنن الجاهلية، دخل في هذا الحديث، والسنة الجاهلية: كل عادة كانوا عليها فإن السنة هي العادة" 76.

وقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم التشبه بدليل قطعي الدلالة، حتى أنه جعل من تشبه بقوم فهو منهم، قال عليه الصلاة والسلام: "بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده ولا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار، على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم" 77.

فهذا حديث صريح في حرمة التشبه بالجاهلية، قال ابن كثير: "والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً، وروى الإمام أحمد، وأبو داود: (من تشبه بقوم فهو منهم)، ففيه دلالة على النهي الشديد، والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقرر عليها" 78.

والعلة في تحريم التشبه، أن التشبه يُؤدّ نوعاً من الحب والموالاتة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاتة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة"⁷⁹.

وقد أشار القرآن الكريم إلى حرمة التشبه، فذكر نماذج من التشبه المذموم بالجاهلية، فذكر التشبه في سوء الظن بالله، فقال سبحانه: (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)⁸⁰، وذكر التشبه بالجاهلية في التحاكم، فقال سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)⁸¹، وذكر التشبه بالجاهلية في التبرج، فقال سبحانه: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)⁸²، وذكر التشبه بالجاهلية في الحمية الممقوتة، فقال سبحانه: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ)⁸³.

وهذه الأمور الأربعة، ذكرها القرآن الكريم لتكون دلالة على حرمة التشبه بمظاهر الجاهلية كلها، فالقرآن الكريم لم يقصد الحصر، بل أراد أن يذكر من العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر، إذ إن التشبه بالكافرين لا يقتصر على صورة واحدة، أو صورٍ محدودة، فهناك صور وأشكال عديدة للتشبه المذموم، من أجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام: "أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتِ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ"⁸⁴.

وفي إضافة الأمور الأربعة - (الظن، الحكم، التبرج، الحمية) - إلى الجاهلية دلالة على أن الحرمة إنما هي لأنها من أمور الجاهلية، لأن إضافة المصدر إلى الصفة يفيد الاختصاص، قال الألويسي: "هذا من إضافة الموصوف إلى مصدر صفته، ومعناها الاختصاص بالجاهلية"⁸⁵.

فدلّ هذا على أن علة التحريم هي التشبه، من أجل ذلك قال سيد قطب: "نهى عن تشبه في مظهر أو لباس، ونهى عن تشبه في حركة أو سلوك، ونهى عن تشبه في قول أو أدب، لأن وراء هذا كله ذلك الشعور الباطن الذي يميز تصوراً عن تصور، ومنهجاً في الحياة عن منهج، وسمة للجماعة عن سمة، ثم هو نهى عن التلقي من غير الله ومنهجه الخاص، الذي جاءت هذه الأمة لتحقيقه في الأرض، نهى عن الهزيمة الداخلية أمام أي قوم آخرين في الأرض، فالهزيمة الداخلية تجاه مجتمع معين هي التي تنتدس في النفس لتقلد هذا المجتمع المعين، والجماعة المسلمة قامت لتكون في مكان القيادة للبشرية فينبغي لها

أن تستمد تقاليدها - كما تستمد عقيدتها - من المصدر الذي اختارها للقيادة، والمسلمون هم الأعلون، وهم الأمة الوسط، وهم خير أمة أخرجت للناس، فمن أين إذن يستمدون تصورهم ومنهجهم؟ ومن أين إذن يستمدون تقاليدهم ونظمهم؟⁸⁶.

وإذا ما أراد الإنسان أن يتحدث عن صور التشبه بالجاهلية في عصرنا هذا، فإنه لا يستطيع أن يحصر الأمور التي شاركنا الجاهلية فيها، بل إن عادات الجاهلية صارت في مجتمعاتنا الإسلامية مثالا يحتذى ويقتدى، ورمزا للتقدم والتحصّر، ولا يسع الناظر إلا أن يستذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَزِرَاعًا بِزِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ صَبِّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَنْ!"⁸⁷.

وهذا حقا ما يجري في هذه الأيام، يقول الأستاذ أحمد شاكِر: "فانظر ما يفعله المسلمون - بل المنتسبون للإسلام - في عصرنا، من التشبه بالكفار في كل شيء، حتى ليزيد الوقاحة من الكُتَّاب أن يُدخلوا شعائرهم أو ما يشبهها في عبادتنا، وحتى ضربوا على أنفسهم الذلة والصغار، باصطناع تشريع أوروبية الوثنية الملحدة، في قوانينهم المجرمة الكافرة، أعادنا الله من الفتن، وأعاد للمسلمين عقولهم ودينهم"⁸⁸.

المبحث الرابع

وصف الأمم الكافرة بالجهل

وصف الله عز وجل الأمم الكافرة بأنها أمم جاهلة، وهذا الأمر قد يكون أشد وصف توصف به أمة، إذ إن الجهالة الفردية ذم ما بعده ذم، فكيف إذا كانت الجهالة عامة، بحيث توصف بها أمة بأكملها.

والم تأمل آيات القرآن الكريم، يرى أن القرآن الكريم وصف أقواماً كافرة بعينها بالجهالة، فوصف قوم نوح بأنهم قوم يجهلون، ووصف قوم لوط بأنهم قوم يجهلون، ووصف قوم عاد كذلك بأنهم قوم يجهلون، ووصف بني إسرائيل بأنهم قوم يجهلون، ووصف أكثر الكافرين والمشركين بالجهالة على وجه العموم، وإليك بيان ذلك.

المطلب الأول: وصف قوم نوح بالجهل

وصف الله عز وجل قوم نوح بالجهالة، فقال سبحانه: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)⁸⁹.

وقد استحق قوم نوح عليه السلام هذا الوصف، لأنهم خرجوا عن فطرتهم، وغيبوا عقولهم، وطلبوا من نوح عليه السلام أن يطرد المؤمنين، قال الرازي: "إن العقل والشرع تطابقا على أنه لا بد من تعظيم المؤمن البر التقي، ومن إهانة الفاجر الكافر، فلو قلبت القصة، وعكست القضية، وقربت الكافر الفاجر على سبيل التعظيم، وطردت المؤمن التقي على سبيل الإهانة، كنت على ضد أمر الله تعالى، وعلى عكس حكمه، وكنت في هذا الحكم على ضد ما أمر الله تعالى من إيصال الثواب إلى المحقين، والعقاب إلى المبطلين، وحينئذ أصير مستوجبا للعقاب العظيم، فمن ذا الذي ينصرنى من الله تعالى، ومن الذي يخلصني من عذاب الله، أفلا تذكرون فتعلمون أن ذلك لا يصح"⁹⁰.

وجهل قوم نوح هنا هو جهل حال، لأنهم جهلوا عاقبة طرد المؤمنين، قال الألوسي: "ولكني أراكم قوما تجهلون: أي بكل ما ينبغي أن يعلم ويدخل فيه جهلهم بمنزلتهم عند الله تعالى، وبما يترتب من المحذور على طردهم، وبركاكة رأيهم في التماس ذلك، وتوقيف إيمانهم عليه، وغير ذلك وإيثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار، وعبر بالرؤية موافقة لتعبيرهم، وجوز أن يكون الجهل بمعنى الجناية على الغير، وفعل ما يشق عليه، لا بمعنى عدم العلم المذموم"⁹¹.

المطلب الثاني: وصف قوم عاد بالجهل

وحال قوم عاد كحال سابقهم قوم نوح، فكما وصف الله عز وجل قوم نوح بالجهالة، فقد وصف قوم نوح بأن الجهالة هي شأنهم، فقال جل في علاه: (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنِ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)⁹².

وأراد هود عليه السلام من وصف قومه بالجهالة أن يبين لهم بأن الجهالة هي شأنهم، قال الألوسي: "ولكن أراكم قوما تجهلون: أي شأنكم الجهل، ومن آثار ذلك أنكم تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل، من الإتيان بالعذاب"⁹³.

إلا أن قوم هود لم يرتدعوا من توبيخ نبيهم لهم، ووصفه لهم بالجهالة، بل ظلوا مصرين على جهلهم، وسفاهتهم، وحمافتهم، من أجل ذلك جاء الوصف لهم بصيغة المضارع (قَوْمًا تَجْهَلُونَ)، ليكون دلالة على استمرارهم في الجهالة، قال الشوكاني: "وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ": حيث بقيتم مصرين على كفركم ولم تهتدوا بما جننكم به"⁹⁴.

ولشدة جهل قوم عاد، وشدة عنادهم، باتوا يظنون أن إصرارهم على كفرهم - مع علمهم بأنه باطل - قهراً للرسول، فأعرضوا عنه، وتركوا دعوته، ولكن هيهات هيهات، قال الأستاذ سيد قطب: "وأية حماقة، وأي جهل أشد من استقبال النذير الناصح، والأخ القريب بمثل هذا التحدي والتكذيب؟"⁹⁵.
ومن أجل ذلك، فسّر بعض المفسرين الجهالة في هذا الموضع بالإعراض، قال الواحدي: "وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ": "وأنتم تعرضون"⁹⁶.

المطلب الثالث: وصف قوم لوط بالجهل

وقوم لوط كان لهم نصيب من الجهالة، فقال الله عز وجل فيهم: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) ٥٠ أَيْنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)⁹⁷.

فقد سمى الله عز وجل قوم لوط بأنهم: (قوم يجهلون)، أي يجهلون أن هذا الفعل متناقض مع كل عُرف، ومع كل دين، قال سيد قطب: "هي ظاهرة غريبة في تاريخ الجماعات البشرية، فقد يشدّ أفراد لأسباب مرضية نفسية، أو لملاسات وقتية، فيميل الذكور لإتيان الذكور، وأكثر ما يكون هذا في معسكرات الجنود، حيث لا يوجد النساء، أو في السجون التي يقيم فيها المسجونون فترات طويلة، معرضين لضغط الميل الجنسي، محرومين من الاتصال بالنساء، أما أن يشيع هذا الشذوذ، فيصبح هو القاعدة في بلد بأسره، مع وجود النساء وتيسر الزواج، فهذا هو الحادث الغريب حقاً في تاريخ الجماعات البشرية!"⁹⁸.

وجهالة قوم لوط ليست كجهالة سابقهم، بل هي أشد وأعظم، وذلك ناشئ عن قباحة فعلهم، من أجل ذلك حوت جهالتهم معان كثيرة، وكل معنى من تلك المعاني تنطبق عليهم، قال الأوسي: "(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

تَجْهَلُونَ): أي تفعلون فعل الجاهلين بقبح ذلك، أو يجهلون العاقبة، أو الجهل بمعنى السفاهة والمجون، أي بل أنتم قوم سفهاء ماجنون"99.

فقوم لوط تجاوزوا كل الحدود، واخترقوا كل الأعراق، وخرجوا عن كل عادة، بل وتجروا على حدود الله، وانتهكوا حدوده، قال السعدي: "(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ): متجاوزون لحدود الله، متجرؤون على محارمه"100.

وحقيقة الأمر، فإن قوم لوط قوم جاهلون، لأنهم لم يفرقوا بين الحسن والقبيح، وبين الأمر اللائق من عدمه، قال البيضاوي: "(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ): تفعلون فعل من يجهل قبحها، أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح"101.

وقد تميزت جاهلية قوم لوط على غيرها من الجاهلية، بأنهم أناس تفاخروا بجاهليتهم، فقالوا للوط عليه السلام ومن آمن معه: (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ)102.

وهذا رد يدل على عظم جاهليتهم، قال سيد قطب: "وقولهم هذا قد يكون تهكماً بالتطهر من هذا الرجس القذر، وقد يكون إنكاراً عليه أن يسمى هذا تطهراً، فهم من انحراف الفطرة بحيث لا يستشعرون ما في ميلهم المنحرف من قذارة، وقد يكون ضيقاً بالطهر والتطهر إذا كان يكلفهم الإقلاع عن ذلك الشذوذ!! على أية حال لقد هموا همهم، وحزموا أمرهم، وأراد الله غير ما كانوا يريدون"103.

المطلب الرابع: وصف بني إسرائيل بالجهل

بنو إسرائيل قوم يجهلون، لأنهم قابلوا نعم الله عز وجل بالكفر به، فقال فيهم جل سبحانه: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)104.

والفعل الذي صدر عن بني إسرائيل، فعل لا يمكن أن يتخيله عقل، لأن العقل السليم يرفض أن يجازي المحسن بالإساءة، فكيف إذا كان قابله بالجوحد، قال البيضاوي: "وصفهم بالجهل المطلق وأكده، لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل"105.

فهذه جهالة مشوبة بالجد والعناد والاستكبار، جهالة مصحوبة بالكفر بالله عز وجل، ربهم وخالقهم، قال الشوكاني: "وصفهم بالجهل: لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزجر من له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله، ولكن هؤلاء القوم - أعني بنى إسرائيل - أشد خلق الله عنادا وجهلا وتلونا"¹⁰⁶.

لذلك لم يقل ربنا جل سبحانه: من أي شيء جهالتهم، بل جعلها جهالة عامة، لأنها جهالة تتعلق بتوحيد الله سبحانه، والتي هي أساس كل جهل، وفتاحة لكل أنواع الجهالة، قال سيد قطب: " ولم يقل تجهلون ماذا؟ ليكون في إطلاق اللفظ ما يعني الجهل الكامل الشامل، الجهل من الجهالة ضد المعرفة، والجهل من حماقة ضد العقل! فما ينبعث مثل هذا القول إلا من الجهالة والحمق إلى أبعد الحدود! ثم ليشير إلى أن الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما ينشأ من الجهل والحماقة، وأن العلم والتعقل يقود كلاهما إلى الله الواحد، وأنه ما من علم ولا عقل يقود إلى غير هذا الطريق...، إن العلم والعقل يواجهان هذا الكون بنواميسه التي تشهد بوجود الخالق المدبر، وبوحدانية هذا الخالق المدبر، فعنصر التقدير والتدبير بارز في هذه النواميس، وطابع الوحدة ظاهر كذلك فيها وفي آثارها التي يكشفها النظر والتدبر - وفق المنهج الصحيح - وما يغفل عن ذلك كله، أو يعرض عن ذلك كله، إلا الحمقى والجهال، ولو ادعوا (العلم) كما يدعيه الكثيرون!"¹⁰⁷.

المطلب الخامس: وصف عامة الكافرين بالجهل

لما وصف الله عز وجل أمما بعينها بالجهالة، ختم ذلك ببيان أن أكثر الكافرين يجهلون، فقال سبحانه: (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)¹⁰⁸.

والجهالة العامة التي استوى كل كافر في النسبة إليها، هي جهالة الحق، وجهالة الإتياع والانقياد إليه، قال القرطبي: "(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ): أي يجهلون الحق"¹⁰⁹.

فهم لجهلهم اعتقدوا أن الإيمان بيدهم، متى ما شأوا آمنوا، وكيفما شأوا يؤمنوا، إلا أن الله عز وجل بين لهم أن هذا من جهالتهم، وأن الإيمان بيد الله سبحانه، يهدي من يشاء إليه، ويصرفه عن يشاء، قال سيد قطب: "ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفر

بأيديهم، متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا كفروا، وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأصلته¹¹⁰.

وهذه الجهالة هي التي تحول بينهم وبين إيمانهم بالله عز وجل، حتى كفروا به، وتركوا الانقياد لدينه، قال الشوكاني: "جهلا يحول بينهم وبين إدراك الحق، والوصول إلى الصواب"¹¹¹.

فإن الله عز وجل يعلم بسابق علمه الأزلي، أن هؤلاء الكافرين لن يؤمنوا حتى لو رأوا من الآيات ما هو العجب العجيب، إلا أن الكافرين يجهلون ذلك، قال الألوسي: "والمعنى أن حالهم كما شرح، ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات، لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم حينئذ، فيقسمون بالله تعالى جهد إيمانهم على ما لا يكاد يوجد أصلاً"¹¹².

وإذا كان الله عز وجل قد وصف أكثر الكافرين بالجهالة، إلا أن الجهالة تشملهم جميعاً، جهالة الوصول إلى الحق وإدراكه، إذ لو لم يكونا كذلك لآمنوا بالله عز وجل، خالقهم، ورازقهم، والمنعم المتفضل عليهم، والمستحق وحده للعبادة، ولذلك قال البيضاوي: "أسند الجهل إلى أكثرهم، مع أن مطلق الجهل يعمم"¹¹³.

المبحث الخامس

بيان براءة الأنبياء عليهم السلام من الجهل والجاهلية

وإذا كان الله عز وجل قد أثبت جهالة الكافرين والمشركين، فإنه سبحانه قد نزه الرسل عنها، ونفاها عنهم بكل معانيها، وأمرهم بالابتعاد عن أهل الجهالة، بل ونهاهم عن الخوض معهم، وهذا بيان ذلك.

المطلب الأول: براءة نوح عليه السلام من الجهل

أمر الله عز وجل نبيه نوح عليه السلام بألا يكون من الجاهلين، فقال سبحانه: (قَالَ يَنْفُخُ فِيهِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)¹¹⁴.

وهذه الآية وإن كان ظاهرها النهي، إلا أن المراد منها النفي، نفي الجهالة عن نوح عليه السلام، قال ابن العربي: "وهذه زيادة من الله، وموعظة يرفع بها نوحاً عن مقام الجاهلين، ويعليه بها إلى مقام العلماء العاملين"¹¹⁵، وقال ابن جزّي الكلبّي: "(إِنَّ) في موضع مفعول من أجله، تقديره أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصف له بالجهل بل فيه ملاطفة وإكرام"¹¹⁶.

وأشار الآلوسي إلى أن هذه الآية مثل قول الله عز وجل: (وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ)¹¹⁷، فهي لا تدل على أنه من الكافرين، بل تنفي عنه ذلك، قال الآلوسي: "(وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) لا يدل على أنه كافر عنده، بل هو نهي عن الدخول في غمارهم، وقطع بأنه ذلك يوجب الغرق على الطريق البرهاني . . . ، وكأنه عليه السلام حمل مقاولته على غير المكابرة والتعنت، لغلبة المحبة وذهول عن إعطاء التأمل حقه، فلذلك طلب ما طلب فعوتب بأن مثله في معرض الإرشاد والقيام بأعباء الدعوة تلك المدة المتطاولة لا ينبغي أن يشتهه عليه كلام المسترشد والمعاند ويرجع هذا إلى ترك الأولى، وهو المراد بقوله سبحانه: (إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)"¹¹⁸.

وقد يكون المراد من الآية مفهوم الخلاف، بمعنى أنك إذا سألت ما ليس لك به علم فإنك سوف تكون من الجاهلين، فلا تسألن ما ليس لك به علم حتى لا تكون منهم، قال سيد قطب: "إني أعظك خشية أن تكون من الجاهلين بحقيقة الوشائج والروابط، أو حقيقة وعد الله وتأويله، فوعد الله قد أول وتحقق، ونجا أهلك الذين هم أهلك على التحقيق"¹¹⁹.

والآية وإن كان المراد منها النفي، إلا أنها تحمل بين ثناياها النهي أيضاً، فهي نفت عن نوح عليه السلام الجهالة، ونهته أيضاً عنها، قال القرطبي: "(إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ): أي أنهاك عن هذا السؤال، وأحذرك لئلا تكون، أو كراهية أن تكون من الجاهلين، أي الآثمين، ومنه قوله تعالى: (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)¹²⁰: أي يحذركم الله وينهاكم"¹²¹.

المطلب الثاني: تنزيه يوسف عليه السلام عن الجهل

يوسف عليه السلام دعا ربه أن يصرف عنه كيد النسوة اللواتي راودنه عن نفسه، لأنه إذا لم يصرف عنه كيدهن فإنه سيكون من الجاهلين، قال تعالى حكاية عنه: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)¹²².

وقد صرف الله عز وجل عن نبيه يوسف عليه السلام كيدهن، وهذا يقتضي أن يكون قد صرف عنه الجهالة، ووقاه منها، وأبعده عنها، قال الرازي: "طلب من الله سبحانه وتعالى أن يحدث في قلبه أنواعاً من الدواعي المعارضة، النافية لدواعي المعصية، إذ لو لم يحصل هذا المعارض لحصل المرجح للوقوع في المعصية خالياً عما يعارضه، وذلك يوجب وقوع الفعل"¹²³.

والذي يؤكد أن الله عز وجل نزه نبيه عن الجهالة، أن الله عز وجل قال: (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)¹²⁴، وهذا يقتضي أنه صرف عنه كل أمر محذور قبل هذه الآية، بما في ذلك كيد النساء، والجهالة، قال ابن كثير: "عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع"¹²⁵.

المطلب الثالث: استعادة موسى عليه السلام من الجهل

ذكر القرآن الكريم استعادة موسى عليه السلام من أن يكون من الجاهلين، قال جل سبحانه: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)¹²⁶.

ففي استعادة موسى عليه السلام دليل قطعي على براءته منها، إذ كيف يستعيز بالله من أمر ثم هو يفعل، ولذلك قال الألوسي: "وقد نفاه عليه السلام عن نفسه قصداً إلى نفي ملزومه الذي رمي به...، والاستعادة بالله تعالى من ذلك من باب الأدب والتواضع معه سبحانه، كما في قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ)¹²⁷، لأن الأنبياء معصومون عن مثل ذلك"¹²⁸، وقال ابن الجوزي: "وإنما انتفى من الهزء لأن الهزء جاهل لاعب"¹²⁹.

وقد دلت الآية على كره موسى عليه السلام للجهل، لدرجة أنه استعاذ بالله عز وجل من أن يكون من أهله، والنبي لا يستعيز بالله إلا من شيء عظيم، قال أبو السعود: "لأن الهزء في أثناء تبليغ أمر الله سبحانه جهل وسفه، نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على أبلغ وجه وأكد، بإخراجه مخرج مالا مكروه وراءه، بالاستعادة منه استظاعاً له، واستعظاماً لما أقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه عليه السلام بها"¹³⁰.

وأشار سيد قطب رحمه الله، إلى حكمة موسى عليه السلام في نفي الجهالة عنه، وفي تفريره لبني إسرائيل على اتهامهم له بذلك، فيقول: "كان رد موسى على هذه السفاهة أن يستعيز بالله وأن يردهم برفق، وعن طريق التعريض والتلميح، إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق جل علاه وأن يبين لهم أن ما ظنوه به لا يليق إلا بجاهل بقدر الله، لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخاه: قال: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)¹³¹."

المطلب الرابع: أمر محمد عليه السلام بالإعراض عن الجاهلين

نهى الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون من الجاهلين، فقال سبحانه: (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)¹³².

ولم يكتف الله عز وجل بنهي نبيه، بل وأمره بالإعراض عن الجاهلين، فقال جل سبحانه: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)¹³³.

وهذا الخطاب من الله عز وجل لنبيه بصيغة الأمر، يقتضي أن يُقابل بالطاعة والاستجابة من النبي صلى الله عليه وسلم، والتوفيق والإعانة من الله عز وجل، وهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم مُنرّه عن الجاهلية، بريء منها، معرض عنها.

ونهي الله عز وجل عن الجاهلية، وأمره بالإعراض عنها، لا يقتضي أن يكون فيه شيء منها، بل المقصود إبعاده عن جملة الجاهلين، وتنزيهه صلى الله عليه وسلم عنهم، قال الرازي: "(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ): نهي له عن هذه الحالة، وهذا النهي لا يقتضي إقدامه على مثل هذه الحالة، كما أن قوله: (وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ)¹³⁴، لا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم أطاعهم وقبل دينهم، والمقصود أنه لا ينبغي أن يشتد تحسرك على تكذيبهم، ولا يجوز أن تجزع من إعراضهم عنك، فإنك لو فعلت ذلك قرب حالك من حال الجاهل، والمقصود من تغليظ الخطاب: التباعد والجزر له عن مثل هذه الحالة، والله أعلم"¹³⁵.

فهذه النماذج الأربعة، ما هي في الحقيقة إلا تأكيدا لمبدأ سلامة الأنبياء عليهم السلام من الجهالة، وبياناً لبراءتهم منها، فما انطبق على نوح، ويوسف، وموسى، ومحمد عليهم السلام ينطبق على الأنبياء

كلهم، لأن دعوة الأنبياء واحدة، دينهم واحد، وريهم واحد، وهدفهم واحد، وعدوهم واحد، فلا بد أن يكونوا متشابهين في كثير من صفات الكمال البشري، منزهين عما يشوب ذلك أو يعارضه، أو يمنعه.

بل إن بعض العلماء أشار إلى أن هذا الأمر ينطبق أيضا على المؤمنين الصادقين، أتباع الأنبياء، فهم كذلك مبرؤون من الجهالة، ولذلك لما فسّر القرطبي قول الله عز وجل: (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)، قال: "الخطاب له صلى الله عليه وسلم، والمراد الأمة"¹³⁶.

الخاتمة

بعد هذه الجولة مع منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية، فإنه يجدر بنا أن نسجل أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

- 1- إن الإطلاق اللغوي للجهل مرتبط بثلاثة أمور؛ الأول: مرتبط بالاعتقاد الذهني، وهو الجهل بالشيء. والثاني: مرتبط بالسلوك، وهو فعل الأمر على غير صورته. والثالث: مرتبط بالاصطلاح العرفي، وهي الفترة التي كانت قبل مجيء الإسلام.
- 2- حذر القرآن الكريم من الجاهلية، وأشار إلى زيفها وخطرها، واتبع في سبيل ذلك أساليب عدّة، ومناهج كثير؛ ليصدّ عنها، ويُبعد الناس عن مصائدّها.
- 3- حذر القرآن الكريم من سلوك الجاهلية من خلال: بيان بطلان أمور الجاهلية، وبيان ما في الجاهلية من فتنة وابتلاء، وإظهار ندامة من عمل بعمل الجاهلية، وإصدار الأحكام الصارمة بحق من عمل عملا من أعمال الجاهلية، وبيان عقوبة من عمل بأعمال الجاهلية.
- 4- أمر الله عز وجل المؤمنين بالإعراض عن الجاهلية، وبين استجابتهم لهذا الأمر.
- 5- حذر القرآن الكريم من الجاهلية من خلال وصف الأمم الكافرة بالجهل، فقد ورد هذا الوصف بحق قوم نوح عليه السلام، وقوم عاد، وقوم لوط، وبني إسرائيل، والكافرين عموماً.

الهوامش

¹ - الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 - 2001م)، 37/6.

- 2 - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1419 هـ - 1998 م)، 350/1.
- 3 - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، لبنان، دار المعرفة، 102/1.
- 4 انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة، دار الحديث، 1422 هـ - 2001 م)، ص 225.
- 5 - سورة الأنعام، الآية 111.
- 6 - سورة الأعراف، الآية 138.
- 7 - سورة هود، الآية 46.
- 8 - السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار: تفسير القرآن، المعروف بـ (تفسير السمعاني)، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس غنيم، (السعودية، الرياض، دار الوطن، ط1 - 1418 هـ - 1997 م)، 433/2.
- 9 - سورة الأنعام، الآية 54.
- 10 - سورة الفتح، الآية 26.
- 11 - سورة الفرقان، الآية 44.
- 12 - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9 - 1413 هـ)، 432/1.
- 13 - سورة الأعراف، الآيات (138-139).
- 14 - الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1421 هـ - 2000 م)، 183/14.
- 15 - رواه مسلم. انظر: أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت)، دار إحياء التراث العربي، كتاب الحج، باب حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم 1218، 886/2، والحديث طويل جدا، وهذه الجملة هي جزء منه.
- 16 - النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري: شرح النووي على صحيح مسلم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2 - 1392 هـ)، 182/8.
- 17 - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت، دار الكتب العلمية)، 46/9.
- 18 - ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط1 - 1413 هـ - 1993 م)، 448/2.
- 19 - سورة الفرقان، الآية 23.
- 20 - أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاء العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود)، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 368/3.
- 21 - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، (بيروت، دار المعرفة)، 365/3.
- 22 - رواه أحمد والترمذي. انظر: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني: مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ط1 - 1421 هـ - 2001 م)، مسند الشاميين، حَدِيثُ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث 17170، 404/28، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، أبواب الأمثال، باب ما جاء في مَثَلِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، حديث 2863، 148/5، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
- 23 - الألويسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 41/9.
- 24 - سورة آل عمران، الآية 154.
- 25 - ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: **زاد المسير في علم التفسير**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1404) ط3، 482/1.
- 26 - الألويسي: **روح المعاني**، 98/4.
- 27 - ابن كثير، إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم**. 7مج. ط: 2. بيروت: دار الفكر. 1970م، (418/1-419).
- 28 - الرازي: **التفسير الكبير**، 41/9.
- 29 - سورة الحجرات، الآية 6.
- 30 - الرازي: **التفسير الكبير**، 104/28.
- 31 - الألويسي: **روح المعاني**، 147/26.
- 32 - الرازي: **التفسير الكبير**، 104/28.
- 33 - المرجع السابق، 104/28.
- 34 - أبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، 118/8. وانظر: البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)**، (بيروت، دار الفكر)، 214/5.
- 35 - **عَبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ** : كبر وتجبر الجاهلية. قال الزمخشري: قوله «عبية الجاهلية» في الصحاح: رجل فيه عبية، أي: كبر وتجبر. وعبية الجاهلية: نخوتها. انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 375/4. وانظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **الفائق في غريب الحديث والأثر**، (لبنان، دار المعرفة) تح: علي محمد الجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، 384/2.
- 36 - الجعلان: هو حيوان معروف كالخنفساء. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي: **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر) ط 1، 112/11.
- 37 - رواه أحمد وأبو داود والترمذي. انظر: أحمد: **مسند أحمد**، مسند أبي هريرة، حديث 8736، 349/14، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر)، كتاب الأدب، باب في النَّقَاحِ بِالْأَحْسَابِ، حديث 5116، 331/4. الترمذي: **سنن الترمذي**، أبواب تفسير القرآن، باب وَمِنْ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ، حديث 3270، 389/5. قال أبو عيسى هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ بِنِ عَمْرِو بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ يُضَعَّفُ ضَعْفَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ.
- 38 - سورة هود، الآيات (105-106).
- 39 - أبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، 241/4.

- 40 - سورة الحج، الآية 18.
- 41 - القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن ، (القاهرة، دار الشعيب)، 24/12.
- 42 - سورة المائدة، الآية 50.
- 43 - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، 47/3.
- 44 - سورة المائدة، الآية 44.
- 45 - سورة المائدة، الآية 45.
- 46 - سورة المائدة، الآية 47.
- 47 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 68/2.
- 48 - سورة النمل، الآيات (54-58).
- 49 - سورة هود ، الآية 83 .
- 50 - سورة الأحقاف، الآيات (21-25).
- 51 - سورة الأحزاب، الآيات (72-73).
- 52 - النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، تحقيق: مروان الشعار، (بيروت، دار النفائس، 2005م)، 318/3.
- 53 - الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1415هـ - 1995م)، 259/6.
- 54 - قطب، محمد: جاهلية القرن العشرين، (مصر، دار الشروق، ط2 - 1412هـ - 1992م)، ص196.
- 55 - المصدر السابق، ص199.
- 56 - سورة الأعراف، الآية 199.
- 57 - ابن الجوزي: زاد المسير، 308/3.
- 58 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت، دار الفكر)، 279/2.
- 59 - الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر: المستقصى في أمثال العرب، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987)، ط2، 5/1.
- 60 - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، تحقيق: ابن عثيمين، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2000م)، 313/1.
- 61 - أنظر: قطب، سيد إبراهيم حسن الشاربي: في ظلال القرآن، (لبنان، بيروت، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط17 - 1412هـ)، 1418/3.
- 62 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، 344/7.
- 63 - البغوي: معالم التنزيل ، 224/2.
- 64 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، 347/7.
- 65 - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 1419/3.
- 66 - سورة القصص، الآية 55.

- 67 - الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السدي: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبدو شلبي، (بيروت، عالم الكتب، 1988)، ط1، 149/4.
- 68 - الرازي: التفسير الكبير، 225/24.
- 69 - المصدر السابق، 225/24.
- 70 - ابن عطية: المحرر الوجيز، 292/4.
- 71 - البغوي: معالم التنزيل، 450/3.
- 72 - سورة الجاثية، الآيات (18-19).
- 73 - الشوكاني: فتح القدير، 7/5.
- 74 - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 131/4.
- 75 - أخرجه البخاري. انظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط3، (1407هـ-1987م)، كتاب الديات، باب من طَلَبَ دَمَ امْرِيٍّ بَغَيْرِ حَقِّ، حديث 6488، 2523/6.
- 76 - ابن تيمية، نقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الدمشقي: إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، (بيروت، دار عالم الكتب، 1999م) ط7، 76/1.
- 77 - أخرجه الإمام أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه، حديث 5114، 123/9، وأبو داود: سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، حديث 4031، 44/4. قال الشيخ الألباني الحديث (صحيح)، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (بيروت، المكتب الإسلامي، 1988م)، رقم 2830، 545/1.
- 78 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 149/1.
- 79 - ابن تيمية: إقتضاء الصراط المستقيم، 221/1.
- 80 - سورة آل عمران، الآية 154.
- 81 - سورة المائدة، الآية 50.
- 82 - سورة الأحزاب، الآية 33.
- 83 - سورة الفتح، الآية 26.
- 84 - مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم 1218، 886/2، والحديث طويل جدا، وهذه الجملة هي جزء منه.
- 85 - الألويسي: روح المعاني، 94/4.
- 86 - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 128-129/1.
- 87 - أخرجه البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لَنْتَبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حديث 6889، 2669/6، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، حديث 2669، 2054/4.
- 88 - شاكر، أحمد: حكم الجاهلية، (مكتبة السنة، ط1 - 1992م)، ص69.
- 89 - سورة هود، الآية 29.
- 90 - الرازي: التفسير الكبير، 173/17.
- 91 - الألويسي: روح المعاني، 42/12.

- 92 - سورة الأحقاف، الآية 22-23 .
- 93 - الألوسي: روح المعاني، 25/26.
- 94 - الشوكاني: فتح القدير، 23/5.
- 95 - قطب , سيد: في ظلال القرآن، 3266/6.
- 96 - الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، الدار الشامية، وبيروت، دار القلم، ط1 - 1415هـ)، 997/2.
- 97 - سورة النمل، الآيات (54 - 55).
- 98 - قطب, سيد: في ظلال القرآن، 2647/5.
- 99 - الألوسي: روح المعاني، 216/19.
- 100 - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، 670/1.
- 101 - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 272/4.
- 102 - سورة النمل، الآية 56.
- 103 - قطب , سيد: في ظلال القرآن، 2648/5.
- 104 - سورة الأعراف، الآية 138.
- 105 - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 55/3.
- 106 - الشوكاني: فتح القدير، 240/2.
- 107 - قطب , سيد: في ظلال القرآن، 1366/3.
- 108 - سورة الأنعام، الآية 111.
- 109 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، 67/7.
- 110 - قطب , سيد : في ظلال القرآن، 1188/3.
- 111 - الشوكاني: فتح القدير، 153/2.
- 112 - الألوسي: روح المعاني، 4/8.
- 113 - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 443/2.
- 114 - سورة هود، الآية 46.
- 115 - الشوكاني: فتح القدير، 503/2.
- 116 - ابن جزّي الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4 - 1403 هـ - 1983م)، 107-106/2.
- 117 - سورة هود، الآية 42.
- 118 - الألوسي: روح المعاني، 70/12.
- 119 - قطب , سيد: في ظلال القرآن، 1880/4.
- 120 - سورة النور، الآية 24.
- 121 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 48/9.
- 122 - سورة يوسف، الآية 33.
- 123 - الرازي: التفسير الكبير، 106/18.

- 124 - سورة يوسف، الآية 34.
- 125 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 478/2.
- 126 - سورة البقرة، الآية 67.
- 127 - سورة المؤمنون، الآية 97.
- 128 - الألوسي: روح المعاني، 286/1.
- 129 - ابن الجوزي: زاد المسير، 97/1.
- 130 - أبو السعود: إرشاد العقل السليم، 111/1.
- 131 - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 78/1.
- 132 - سورة الأنعام، الآية 35.
- 133 - سورة الأعراف، الآية 199.
- 134 - سورة الأحزاب، الآية 48.
- 135 - الرازي: التفسير الكبير، 172/12.
- 136 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 418/6.

قائمة المراجع

1. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1404).
2. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الدمشقي: إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، (بيروت، دار عالم الكتب، 1999م).
3. ابن جرّي الكلبی، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4 - 1403هـ - 1983م).
4. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط1 - 1413هـ - 1993م).
5. ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. 7مج. ط: 2. بيروت: دار الفكر. 1970م، (418/1 - 419).
6. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي: لسان العرب، (بيروت، دار صادر) ط1.
7. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاء العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود)، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
8. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين، (دار الفكر).
9. أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني: مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ط1 - 1421هـ - 2001م).

10. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 - 2001م).
11. الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، (بيروت، المكتب الإسلامي، 1988م)، رقم 2830.
12. الألوسي، أبو التواء شهاب الدين محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
13. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغاء، بيروت، دار ابن كثير، ط3، (1407هـ-1987م).
14. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **معالم التنزيل**، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، (بيروت، دار المعرفة).
15. البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (بيروت، دار الفكر).
16. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
17. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9 - 1413هـ).
18. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1421 هـ - 2000م).
19. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، لبنان، دار المعرفة.
20. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السدي: **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبدو شلبي، (بيروت، عالم الكتب، 1988)، ط1.
21. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **الفائق في غريب الحديث والأثر**، (لبنان، دار المعرفة) (تح: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2).
22. الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر: **المستقصى في أمثال العرب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987)، ط2.
23. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
24. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: ابن عثيمين، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2000م).
25. السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار: **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس غنيم، (السعودية، الرياض، دار الوطن، ط1 - 1418 هـ - 1997م).
26. شاكر، أحمد: **حكم الجاهلية**، (مكتبة السنة، ط1 - 1992م).

27. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1415هـ - 1995م).
28. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت، دار الفكر).
29. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت، دار الكتب العلمية).
30. عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة، دار الحديث، 1422هـ - 2001م).
31. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة، دار الشعيب).
32. قطب، سيد إبراهيم حسن الشاربي: في ظلال القرآن، (لبنان، بيروت، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط17 - 1412هـ).
33. قطب، محمد: جاهلية القرن العشرين، (مصر، دار الشروق، ط12 - 1412هـ - 1992م).
34. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1419هـ - 1998م).
35. مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت)، دار إحياء التراث العربي.
36. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: مروان الشعار، (بيروت، دار النفائس، 2005م).
37. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري: شرح النووي على صحيح مسلم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2 - 1392هـ).
38. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، الدار الشامية، وبيروت، دار القلم، ط1 - 1415هـ).